Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونخلص من هذا إلى أن المتلقى للنص الخطابى قد يباح له التمرد على الخطيب إذا قصرت به الوسائل الخطابية عن بلوغ الغاية، أو وقفت دون خبرة الجمهور وذوقه، فمن أهم خصائص هذا النص أنه فن مخاطبة الجمهور، وهذا يعنى أن المتلقى حاضر فى ذهن الخطيب، حتى قبل ميلاد الخطبة وليس كذلك النص الشعرى، فليس من الضرورى - دائما - أن يتوجه به صاحبه إلى جمهور، كأن يكون تعبيرا عن تجربة ذاتية، يعايشها الشاعر فى واقعه أو فى خياله، أو يكون استجابة لنزعة هاربة من واقع مؤلم، وقد يصدر فيه صاحبه عن رغبة لهيفة فى التطلع إلى حياة أفضل، أو غاية ينشدها لأجيال مقبلة. وعندئذ تكون خبرة المتلقى وذوقه الجمالى وسائل استكشاف لعناصر الجمال فى النص، وليست مقاييس هندسية حادة، تتعامل مع النص بحسابات جبرية، فترفض هذا الشكل لوجود انحراف معين عن زواياه المحددة، أو تقبل غيره لتساوقه مع المقياس.

المسألة فى الفن الشعرى ليست على هذا النحو، ولا ينبغى أن تكونه، وإلا فكيف تتعدد الرؤى، وتتنوع المفاهيم فى مواجهة النص الواحد؟ وكيف يرى أبناء الجيل اللاحق فى نص من النصوص ما لم يفطن إليه أبناء جيل سابق؟ ثم ما بال نقادنا اليوم يعاودون النظر فى قراءة الشعر العربى القديم، فنسمع بقراءة ثانية، وثالثة، ورابعة؟ أليس هذا دليلا على أن الفن الشعرى لايخضع للمقاييس الحادة، ولا تناسبه الأحكام النقدية المستبدة؟

ولعل عبد القاهر الجرجانى قد حرر المسألة بمنهجية، تستمد أصولها من واقع النماذج العربية - خلافا للجاحظ فى مقولته المتأثرة بفن الخطابة والشعر المسرحى عند أرسطو - فقد تناول عبد القاهر فى حديث مستفيض إسهام المتلقى ودوره الفعال فى عملية البحث عن أسرار النص، منبها إلى ضرورة أن يكون المتلقى ذا معرفة وخبرة فى الوقوف على دفائن الصورة، بما احتوته من دقيق المعنى ولطفه. فالمتلقى عنده يشبه الغواص الماهر، يكد ويتعب بل يبذل قصاراه فى الحول والحيلة، باحثا عن الأصداف، قادرا على أن يشقها للوصول إلى الجواهر، وفى هذا يقول:

«فإنك تعلم على كل حال أن هذا الضرب من المعانى، كالجوهر فى الصدف